

تاوانات نيوز-بوعرفة العياشي

في الكثير من المناطق المغربية وكل على شاكلته، يحتفل ب(حاكوزة) ارتباطا بأحد الأبعاد الرئيسية المكونة للهوية الوطنية التي هي الأمازيغية بعاداتها وتقاليدها المضاربة في عمق التاريخ . وعلى خلاف أعياد راس السنة -المهجرية والميلادية - المرتبطة بإحداث دينية عقائدية، فإن حاكوزة التي يحتفل بها هذه السنة بمرور -2967- حسب التقويم الأمازيغي على أساس تاريخي لحدث انتصار ملك الأمازيغ على المراعنة وحكم مصر سنة -950- قبل الميلاد . كان يحتفل بها أيضا على أساس أسطوري خرافي، حيث يحكى أن عجوزا كانت تسمى (حاكوزا) اغترت بنفسها وقوتها في الصمود في وجه برد الشتاء المقاسي، ولم تشكر السماء التي تمدها بالقوة، فانزلت بها أشد العقوبات في ذلك اليوم الذي استلفه (يناير) من (فبراير) الأشد قساوة، فأنتى على كل ما تملكه العجوز، تحت عاصفة هوجاء قاسية، ولذلك يحتاط في هذا اليوم من الخروج إلى المراعي البعيدة، خوفا من قدوم عاصفة مباحة مثلها، وكان للإسلام بصمته في محو ما هو خرافي عن هذه المناسبة، حيث يحتفل ب - حاكوزة - اليوم على أساس أنها رأس السنة الفلاحية تحضر فيها وجبات مختلفة ومتنوعة يوظف فيها كل ما تجود به الأرض على الإنسان . وتصادف (حاكوزة) اليوم ال(14) من يناير الذي هو أيضا اليوم الأول من الجزء الثاني من منزلة الليالي (الليالي البيضاء) التي تتميز بأنها أقل برودة ومطرا من الجزء الأول (الليالي الكحلء) وحيث أن الليالي تعتبر فترة الخصوبة للسنة كلها، وتمتد من (25) دجنبر إلى(02) فبراير لمدة(40) يوما . وإلى عهد قريب كان يبدأ الاحتفال ب (حاكوزة) بمنطقتنا، ولما تزال بعض مظاهر الاحتفال إلى اليوم، كان يبدأ أيام - قبل حلولها - من قبل الأطفال الذين كانوا يطوفون أرجاء قرَاهم، ابتداء من مغرب كل يوم، يطرقون أبواب دورها- بابا بابا - لا يبخلون على ساكنة الدار بما تجود قريحتهم بمدح منظوم، وأبما يحفظونه في هذا المجال من أقرانهم، ينشدونه بلحن مميز، مرغبين لهم في العطاء، وهم يطلبون ما يسمى ب (باينو) وهو عبارة عن قمع أو شعير أو ذرة أو قطني أو أي منتج فلاحي، لا يترددون في خلط الحبوب مع بعضها وإن اختلفت، ليباع الخليط (امركس) في اليوم الأخير للاحتفال بثمانه ب (حاكوزة) - أما ليلة(13) يناير فكان يتم فيها التراسق ب (الشعالات) التي تتخذ من القش، على غرار المشب النارية اليوم، وتحضر فيها (العصيدة) من القمح، وغالبا ما تكون من الشعير وتسمى ب - (دشيش) فينام الأطفال على شبع وفي نفس الوقت على حذر من زيارة (حاكوزا) لهم في عمق الليل، لتتفقد أحوالهم ولتكافئهم على قدر شبعهم تاركة علامة مختومة على بطونهم بمادة (أكفوس) التي هي عبارة عن بقايا الدخان الذي يبقى عالقا بالقدور بعد استعمالها في طهو الطعام على نار الحطب . ليجدوا في الصباح إلى جانبهم هدايا نقود أو فواكه جافة، على غرار هدايا (بابا ذوبل) وتعتبر كالعيدية التي تقدم لهم في أعيادنا الدينية لكن بطريقة مختلفة، وفي الصباح الباكر وقبل انبلاج الفجر، يتم قلي الحمص الذي يكون قد بات مغمورا في الماء، ويتم تمليحه وتتبيله بالكامون واللفل اللادع والثوم ودهنه بزيت الزيتون، ويسمى (بشق عينو) ويليه مباشرة طبخ خبز (المطلوع) المزين بشتى أنواع الفواكه المجافة من زبيب وتمر وجوز ولوز، وتطبخ منه أقراص بأحجام مختلفة يحرص أن يكون بعضها صغيرا جدا حتى يتمكن الأطفال من وضعها إلى جانب الحمص والفواكه المجافة في سلالهم الصغيرة المصنوعة من الدوم أو القصب أو هما معا وتسمى (أسكل) يتباهى كل واحد - أمام أصدقائه - بما يحمله إلى جانب الحلوى التي اشتراها بفلوس (باينو) وهدية (حاكوزة) كما يهيا السفنج وطالما- بهذه المناسبة- كان يأخذ شكلا طويلا على غير العادة التي يأخذ فيها الشكل الدائري المفروغ الوسط، لأن في هذه المرة يكون محشوا بسمك السردين. وفي نفس اليوم يذبح الدجاج البلدي أو الديك الرومي يقدم في شكل - طاجين - مزين بالبرقوق والبيض المسلوق. ويظل المجرم موقدا طيلة اليوم تهيأ على ذاره براريد الشاي احتفاء ب(حاكوزة).

